

يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

إِنَّ رَبَّنَا تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾¹ يَعْني: اعْلَمْ
أَوَّلًا، ثُمَّ صَدَّقْ، وَأَقْرَأْ مَا آمَنْتَ بِهِ بِلِسَانِكَ. فَتَفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ
الْعِلْمَ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَرَضٌ. فَإِنَّهُ لَا إِيمَانَ وَلَا عَمَلَ بِدُونِهِ.
وَمَعْرِفَةُ اللَّهِ تُمَلِّئُ مَفْهُومَ التَّوْحِيدِ. إِذَنْ، كَيْفَ يُمَكِّنُ الْوُصُولُ
إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ؟ إِذَا عَلِمَ الْإِنْسَانُ حَالَ نَفْسِهِ، عَلِمَ بِأَنَّهُ مَحْدُودٌ.
وَإِذَا أَدْرَكَ حُدُودَهُ، فَهَمَّ أَنَّهُ عَاجِزٌ عَنِ إِحْاطَةِ الْوَهْيَةِ لِلَّهِ وَكَوْنِهِ
غَيْرَ مَحْدُودٍ، فَيَسْلِمُ وَجْهَهُ لِغَاطِرِهِ. أَفَادَهُ عُلْمًا وَنَا بِقَوْلِهِمْ: "مَنْ
عَرَفَ نَفْسَهُ، عَرَفَ رَبَّهُ"

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَرَامَ،

تُذَكِّرُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قِصَصَ كَثِيرَةٍ لِأَنَاسٍ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ
قَدْرِهِ وَمَا عَرَفُوا حَقِيقَةَ أَنْفُسِهِمْ. نَرَى فِيهَا مَنْ تَنَعَّمَ بِنِعْمِ اللَّهِ
الَّتِي لَهَا أَجَلٌ مُسَمًّى فِي الدُّنْيَا كَقُدْرَةِ سِيَاسِيَّةٍ أَوْ إِقْتِصَادِيَّةٍ أَوْ
أَمْوَالٍ أَوْ جَاهٍ، فَتَمَرَّدَ وَتَأَلَّى. وَنَجِدُ فِيهَا مَنْ اسْتَعْنَى بِمَا حَصَلَ
عَلَيْهِ حَتَّى بَيَّنَّ أَنَّهُ لَا حَاجَةَ لَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. كُلَّمَا
نَسِيَ الْإِنْسَانُ أَنَّ كُلَّ هَذِهِ النِّعَمِ امْتِحَانٌ، فَسَدَّ تَصَوُّرَهُ عَنْ
صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَصَرَّرَ بِهِ تَوْحِيدَهُ. لِأَجْلِ ذَلِكَ كَانَ التَّوْحِيدُ
وَسُورُهُ جِهَادٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ النَّبِيِّينَ. وَجَاهِدَ هَذَا الْجِهَادَ مَنْ اتَّبَعَ
خُطَاهُمْ.

إِخْوَتِي الْكَرَامَ،

نَقَرْنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ مُجَادَلَةَ نُمْرُودَ إِبرَاهِيمَ. فَقَالَ لَهُ إِبرَاهِيمُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فَرَدَّ نُمْرُودٌ مُتَمَرِّدًا:
﴿أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ فَأَجَابَهُ إِبرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ
اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ
الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾²

لَمْ يَكُنْ لَهُ جَوَابٌ لِأَنَّهُ فَهَمَّ كَمْ هُوَ مَحْدُودٌ فِي إِنْسَانِيَّتِهِ. وَلَكِنْ
لَمْ يُسْلِمْ، بَلْ أَلْقَى إِبرَاهِيمَ فِي النَّارِ لِيَتَخَلَّصَ مِنْهُ. فَهَذَا الْمَوْقِفُ
إِظْهَارٌ وَاضِحٌ لِلْإِعْرَاضِ عَنِ حَقِيقَةِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ".

يَا أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ الْعَزِيزَةُ،

لَا شَكَّ أَنَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ آمَنُوا بِأَنَّ اللَّهَ الْخَالِقَ. يُبَيِّنُ لَنَا ذَلِكَ
رَبُّنَا تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنَّ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾³ مَا كَانَتْ
مُشْكِلَةً مُشْرِكِي مَكَّةَ إِذَنْ؟ كَانَتْ مُشْكِلَتَهُمْ ظَنُّهُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا
يَتَدَخَّلُ فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْقَضَايَا الْخَاصَّةِ فَاشْرَكُوا بِهِ
أَصْنَامًا كَثِيرَةً. فَإِنَّ ذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنْ حَصْرِ سَاحَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَمُحَاوَلَةِ حَشْوِ الْفِرَاقِ. فَهَذَا يُسَاوِي قَبُولَ وُجُودِ اللَّهِ مَعَ رَدِّ
كَوْنِهِ رَبًّا مُدَبِّرَ كُلِّ شَيْءٍ. بِالْإِخْتِصَارِ، هُوَ عَدَمُ تَصْدِيقِ عَقِيدَةِ
التَّوْحِيدِ.

يَا إِخْوَتِي الْمُحْتَرَمُونَ،

إِنَّا مُكَلَّفُونَ بِاسْتِمْرَارِ الْحَيَاةِ عَلَى التَّوْحِيدِ بِلِسَانِنَا وَفِكْرِنَا
وَعَمَلِنَا. فَإِنَّ التَّوْحِيدَ مَوْقِفٌ وَشَهَادَةٌ بِوُجُودِ الْمُوجِدِ وَكَوْنِهِ
فَرْدًا وَاحِدًا. نَحْنُ مَدِينُونَ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ بِوُجُودِنَا وَحَيَاتِنَا
وَنَفْسِنَا، نَحْنُ مَدِينُونَ إِلَى اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

وَلَيْسَ التَّوْحِيدُ مُجَرَّدَ قَوْلِنَا "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" بِلِسَانِنَا. بَلِ التَّوْحِيدُ
تَوْقِيعُنَا تَحْتَ عَقْدِ التَّصْدِيقِ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بِعَمَلِنَا وَحَيَاتِنَا.

أَحْيَانًا اللَّهُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَسَهَّلَ لَنَا الْوَفَاءَ بِعَقْدِنَا. آمِينَ